الفصل التاسع

إسماعيل آغا سمكو ثعلب السياسة الكردية ورائدها في البرغماتية

لا يزال هناك جدل مثير، بين الباحثين، حول طبيعة حركة إسماعيل آغا سمكو، وأهدافها. مع العلم أنّ سمكو قاد حركة مسلحة في كردستان واستطاع أن يؤسس حكومة كردية هناك في الفترة (1920 ـ 1926م)، فالبحث محاولة لتبيان بعض الجوانب الغامضة في حركته، وذلك من خلال الاستفادة من بعض الوثائق البريطانية، ومن آراء الكتاب المعاصرين لتلك الحركة.

نقوم في البداية بعرض آراء الباحثين الكرد، وغيرهم، عن طبيعة حركة سمكو ثم يكون هناك (كرنولوجيا) في عرض الأحداث وتحليلها، وأخيراً نوجز الدروس المستقاة من هذه التجربة التاريخية.

إسماعيل آغا الشكاك، المعروف شعبياً بـ(سمكو)، هو ابن محمد آغا أحد رؤساء عشيرة الشكاك الكردية، الساكنة على الحدود التركية ـ الإيرانية، داخل ولاية حكاري في تركيا وأرومية، في أذربيجان الغربية (إيران). كان سمكو رجلاً شجاعاً، وذكياً، ووسيماً. وقد تولى، وهو شاب، رئاسة عشيرة الشكاك التي تعد ثاني أكبر عشائر الكرد في إيران، بعد الكلهور.

ينقل لنا الكتّاب الكرد، بصورة عامة، صورة سلبية عن حركة سمكو، فيصفها الأستاذ جلال الطالباني بأنها «حركة عشائرية عنيفة... وهي تجسّد اتجاهات سمكو الفردية وأعماله وتصرفاته الضارة، وظهوره بمظهر إقطاعي

طاغ»، وفي صدد تعليقه على مقتل مار شمعون ـ الرئيس الروحي والسياسي للآشوريين ـ بيد سمكو في عام 1918م يقول الأستاذ الطالباني: «إنّ عملية الغدر والإجرام التي دبرها سمكو ضد إخواننا الآثوريين تُسوّد صفحاته»[1].

ويعتقد الدكتور عبد الرحمن قاسملو أنّ مقتل مار شمعون، بيد سمكو، كان عملية خاطئة، وبتحريض من الإنكليز[2]. أمّا الأستاذ كمال مظهر، فيصف حركة سمكو قائلاً: إلاّ أنّه يجب الاعتراف، كذلك، بأنّ أحداث كردستان خلال سنوات الحرب لا تخلو، في الوقت نفسه، من بعض الصور المعاكسة القاتمة... لم يتورّع (سمكو) مثلاً عن اللجوء إلى أقسى الأساليب، في تعامله مع الأذربيجانيين والآثوريين وكان أسوأ ما قام به هو اغتيال المار شمعون»[3].

وأخيراً يقول الباحث جمال (نه به ز): «كان سمكو قائداً قبلياً تقليدياً، ولم يكن حكيماً في سياسته، لذلك ارتكب أخطاء عديدة. فمثلاً كان لسمكو موقف غير عادل تجاه إخواننا الآثوريين، وقد سبب هذا الكثير من الحروب والويلات، بين الشعبين الصديقين، وقوّى من نفوذ عدوهما المشترك. وكان له أيضاً ثقة مفرطة وغير مبررة بالدكتاتور مصطفى كمال أتاتورك»[4].

يعود هذا الموقف السلبي من كتّاب الكرد تجاه حركة سمكو إلى عوامل عدّة؛ أولها وأهمها: تأثّر هؤلاء الكتّاب بآراء المستشرقين الروس (قبل الشيوعية وبعدها) في منهجهم، لكتابة تاريخ الكرد المعاصر. امتاز الاستشراق الروسي بالانحياز لمصالح روسيا القومية، في أثناء العهد القيصري والبلشفي. فعدّ الكتاب الروس التدخّل القيصري في الشؤون الداخلية لإيران وتركيا وكردستان مسألة إيجابية، لأن الروس كانوا أكثر تحضراً «من الشعوب الآسيوية المتخلّفة». وعدّوا كل مقاومة إسلامية أو وطنية لهم إما نابعاً عن تخلف هذه الشعوب،

---

(1) **كردستان والحركة الكردية**، بيروت: دار الطليعة، 1971، ص 115.

(2) **كردستان والأكراد**، الترجمة العربية، بيروت، ص 98.

(3) **كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى**، بغداد: مطبعة المجمع العلمي، 1977، ص 221.

(4) **كوردستان وشورشه كه ى**، ستكهولم، 1985، ص 125.

وتمسكها بالعشائرية، وبعقيدتها الإسلامية «الرجعية»، أو كون هذه الحركات المناهضة للروس مؤامرة إنكليزية.

ففي رأي الكتّاب الروس أنّ حركة سمكو، مثلاً، كانت مؤامرة إنكليزية لإخضاع رضا شاه لهم[5].

يصف اليهودي الروسي لازاريف سمكو بـ: «الطائش الذي تميز على الدوام بفقدان الاستقامة السياسية»[6]. فالمتتبع لتاريخ الحركات القومية الكردية، في القرن التاسع عشر و القرن العشرين يرى أنّ المصادر الإنكليزية تنهج المنهجية نفسها، في تعاملها مع القادة الكرد، من حيث الطعن فيهم، والتقليل من شأنهم؛ فمثلاً يوصف الشيخ عبيد الله النهري قائد حركة (1880 ـ 1882م) بالتعصب والتخلف؛ ويوصف الشيخ محمود الحفيد بالشرير وعدم الاتزان في تصرفاته. كما وصفوا الشيخ أحمد البارزاني بالتعصب والجنون. ولكنهم في الوقت نفسه أعطوا الكثير من المديح والثناء للقوميين الكرد، من الذين تعاونوا معهم، وانبهروا بالحضارة الأوروبية اللادينية، فسمّوهم «المنورين» في كردستان[7].

أما العامل الثاني في تحليل موقف الكتاب الكرد السلبي، تجاه حركة سمكو، فيتلخص بالشعور (الخاطئ) بالذنب تجاه الآثوريين، ومحاولة التقريب بين الكرد والآثوريين. فقد عدّ الإنكليز وحلفاؤهم الآثوريون سمكو والكرد العثرة الأساسية، في مسعاهم لبناء كيان آثوري في كردستان الإيرانية، بعد الحرب العالمية الأولى. لذلك نرى الضباط السياسيين الإنكليز، في إيران والعراق، في تلك الفترة، يصبون جام غضبهم على سمكو، وينعتونه بأقذر النعوت كـ: «المتعصّب المحمّدي»، و«الخائن» و«الغادر» و«سفّاك الدماء» و«الانتهازي المجنون». إنّ تقديم تحليل موضوعي لتصرفات سمكو، والاتجاه الذي سلكته حركته، بحاجة إلى عرض للأحداث ووضعها ضمن السياق التاريخي العلمي، والموضوعي المنصف.

---

(5) م. لازاريف. **المسألة الكردية**، ترجمة ر. عبدي حاجي، بيروت، 1991، ص 228، 230.

(6) لازاريف، ص 229.

(7) W. Jwaideh (Kurdish Nationalist Movement), Syracuse Univ. 1961.

نشأ سمكو وترعرع في بيئة كردية عانت الأمرين بسبب تعسف شاهات إيران من الصفويين والقاجاريين، فقد تعرض الكثير من قادة الكرد، ومن أبناء عشيرته إلى حوادث القتل، نتيجة الغدر والخيانة. فينقل مصطفى باشا يامولكي (أحد قادة الحركة الكردية من السليمانية) في مقابلة تاريخية فريدة مع سمكو، عنه قائلاً: «صحيح أنّ ما يحركنا بصورة أساسية هو الشعور الوطني. ولكنني لا أنكر بأنني أريد أيضاً الانتقام من الإيرانيين قتلة آبائي وأجدادي، وأقربائي، واثنين من إخواني... وأيضاً أريد الانتقام للقادة الكرد الذين قتلوا غدراً، من أمثال سليمان خان، عه لي خان وغيرهم...»[8].

من الجدير بالذكر، أنّه في عام 1907 استدعى نظام السلطنة حاكم أذربيجان جعفر آغا (الأخ الأكبر) لسمكو، إلى تبريز بحجة مساعدته، للقضاء على أنصار الحركة الدستورية المتمردة هناك. فحين وصل جعفر آغا إلى تبريز أمر نظام السلطنة بطعنه من الخلف، ومات على الفور. وفي عام 1918، أرسل مكرم الملك حاكم تبريز رزمة من المتفجرات، مغلفة بأوراق الهدايا. فحين استلمها شعر فوراً بأن الرزمة متفجرات، فرماها في اللحظة الأخيرة، فمات على أثرها أحد إخوته، ومجموعة من أقربائه وأعوانه[9].

إنّ حوادث الغدر والخيانة التي حصلت له، ولأفراد عائلته، قد تركت بلا شك بصماتها العميقة على شخصية سمكو؛ ويبدو أنّه كان لا يثق حتى بأقرب المقربين له، فرغم تزوجه من أخت سيد طه النهري، حفيد الشيخ عبد الله، فكان يحذره، وذلك لأنّ سيد طه كان من الموالين للإنكليز.

إنّ اضطراب الحياة السياسية، على الحدود التركية ـ الإيرانية، نتيجة الصراع الساخن بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية حول النفوذ في أذربيجان، خلق حالة متشابكة من الحروب والدسائس، بين القبائل الكردية. ومن الجدير بالذكر أنّ معظم الحروب الروسية العثمانية، والحروب الإيرانية ـ العثمانية، وقعت أحداثها في داخل كردستان، وأدّى كلّ ذلك إلى صقل مواهب سمكو

(8) F.O. 371/1778. Mustafa to AbdAziz, Sulaimani, December, 12. 1921.

(9) Hasan Arfa, The Kurds, London Oxford Univ. Press. 1966, pp. 50.

السياسية، وعمّق من نـزعته البرغماتية (الواقعية). فلقد تعاون سمكو، في البداية، مع أنصار الاتحاد والترقي الذين حكموا الدولة العثمانية في الفترة 1909 ـ 1918، والذين كانوا يحاولون تقوية نفوذهم في أذربيجان، تحت ستار تقوية أواصر الأخوة الإسلامية، بين الشعوب المسلمة، في وجه الأطماع الروسية.

ولكن سرعان ما أدرك سمكو أنّ أعضاء الاتحاد والترقي يعملون للقومية (الطورانية ـ التركية)، ويريدون استغلال مشاعر الكرد الإسلامية. لذلك لم يتردد في تسليم أحد أعضاء الاتحاد والترقي البارزين، إلى السلطات الروسية في أذربيجان، وهذا ما عزز ثقة الروس به لفترة[10].

وفي الفترة (1912 ـ 1914م) جاء عبد الرزاق بدرخان (أحد أنجال الأمير بدرخان قائد نهضة 1844 في كردستان ـ تركيا) إلى أرومية، وطلب إلى سمكو العمل المشترك ضد الدولة العثمانية، وذلك بالتحالف مع الروس. علماً أنّ عبد الرزاق بدرخان اتهمته الحكومة العثمانية بالعمل للمخابرات الروسية القيصرية، وحكم عليه بالإعدام جماعة الاتحاد والترقي. وفي عام 1913 أسّس الأمير عبد الرزاق وسمكو في مدينة خوي الجمعية الكردية الثقافية التنويرية (غيخاندي) فأعلن عبد الرزاق أن أهداف الجمعية تتلخص بنشر الوعي القومي الكردي. ويبدو أنّ الأمير كان منبهراً بالحضارة الروسية (الأرثوذكسية القيصرية) فكان من الداعين إلى تقليدها في كردستان، ووصل به الأمر إلى أن دعا إلى كتابة اللغة الكردية بالأبجدية الروسية[11]. إلا أنّ الخلاف سرعان ما بدأ بين سمكو والأمير عبد الرزاق. فقد أراد عبد الرزاق تحويل الجمعية الكردية الثقافية إلى حزب سياسي موالٍ للروس، وشنّ حرب ضد الترك، ولم يقبل سمكو بذلك.

هذه أول إشارة إلى حنكة سمكو السياسية، وامتلاكه لرؤية واضحة لما يدور حوله من الأحداث، وعدم كونه ذلك المغامر السياسي المندفع عشوائياً، كما يصفه خصومه.

---

(10) Martin Van Bruinessen, (Kurdish Tribes and the State of of Iran: The Case of Simko in Conflict of Tribe and State (London, Croom Helm) p. 383.

(11) انظر: جليلي، مصدر سابق، ص172.

فقد كان سمكو واعياً للأطماع الروسية في أذربيجان الغربية، ونيّتهم لاستخدام الكرد، في ذلك المسعى. من الجدير بالذكر أنّه في الفترة (1908 ـ 1914م) كان هناك نحو عشرة آلاف خبير وجندي روسي في منطقة أذربيجان. وكان الروس يبذلون جهوداً كبيرة بين العشائر الكردية، في المنطقة الواقعة غرب بحيرة أرومية، وذلك لتجنيدهم عسكرياً، ضدّ الدولة العثمانية، واستغلالهم ضمن المخطط الروسي لابتلاع الولايات، الواقعة في شرق وجنوب شرق تركيا (كردستان ـ تركيا) وذلك لبناء كيان أرمني في المنطقة، ليكون موالياً للروس. وكانت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية العامل المحرّك للسياسة الروسية، تجاه الدولة العثمانية[12].

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، رغم انضمام معظم القبائل الكردية في كردستان إيران إلى الدولة العثمانية، اتخذ سمكو جانب التريث والحياد. ورغم ذلك اعتقلته السلطات الروسية، ونفته إلى جورجيا. وفي عام 1916 في محاولة منهم للاستفادة من الكرد، نصّب الروس سمكو حاكماً على منطقة خوي، وأعطوه خمسة آلاف روبل ذهبي[13]. في 1917 وقع الانقلاب الشيوعي في روسيا، وأعلنت روسيا انسحابها من الحرب. هجم سمكو وأعوانه على القوات الروسية المنسحبة، وغنموا مقادير ضخمة من الأسلحة. علماً أنّ القوّات التركية عادت مرة أخرى إلى أذربيجان الغربية، وفي تشرين الثاني 1918 وقعت تركيا معاهدة مودرس للصلح، وسحبت بموجبها قواتها من أذربيجان الغربية، ولكن انضمّ نحو ثلاثة آلاف ضابط وجندي من كردستان تركيا العاملين ضمن القوات التركية، في أذربيجان، إلى قوات سمكو. وبذلك أصبحت قوّة سمكو أكبر قوة عسكرية في المنطقة، وهو الذي كان ينوي تأسيس حكومة كردية في ولاية حكاري أو أذريجان الغربية المحاذيتين، إلاّ أنّه اصطدم بالآمال الآثورية لبناء دولة لهم في المنطقة نفسها[14].

(12) S. Shaw History of Ottoman Empire, pp. 11-12.

(13) Bruinessen, pp. 384.

(14) Bruinessen, pp. 384; Arfa P. 56.

وفي عام 1918م ظهرت القضية الآثورية والأرمنية، في شرق تركيا إلى سطح الأحداث. فقد عاش الأرمن والآثوريون مع جيرانهم المسلمين، من الكرد والترك، لمئات السنين داخل الدولة العثمانية بأمن وسلام. وهذا ما أكّده التقرير الصادر من عصبة الأمم في عام 1924م، في أثناء مشكلة الموصل[15].

ولكن في أثناء الحرب العالمية الأولى اتخذ الآثوريون والأرمن، على الرغم من كونهم مواطني الدولة العثمانية، موقفاً سياسياً وعسكرياً مؤيداً لقوات الحلفاء ضد الدولة العثمانية، فشاركت القوات المرتزقة الآثورية، بقيادة بطرس آغا، مع القوات الروسية في تدمير مئات القرى الكردية وحرقها، في منطقة حكاري وأرومية، وارتكبت القوات المرتزقة الأرمنية الأعمال نفسها، ولكن بنطاق واسع، الأمر الذي تسبب في قتل وتشريد نحو مليون كردي. وحين انسحبت القوات الروسية من كردستان سلّمت أسلحتها للمرتزقة الآثوريين. كما قامت القنصلية الفرنسية في إسطنبول بدعم القوات الآثورية وتمويلها. ووصلت قدرة القوات الآثورية بقيادة المارشمعون حداً كبيراً مكّنهم من السيطرة على مدينة أرومية وما حواليها في كردستان إيران، واغتصب المسلحون الآثوريون المئات من النساء الكرديات داخل أرومية. وحين تكاملت استعدادات القوى الآثورية بدأت الأوساط الآثورية، في لندن وباريس، تدعو إلى إنشاء كيان قومي لهم في كردستان (أرومية ـ وحكاري)[16].

وقد أوصى الإنكليز المار شمعون بالتعاون، وقتياً، مع سمكو لطرد ما تبقى من النفوذ والقوات الإيرانية من منطقة أذربيجان الغربية. أدرك سمكو أنّ الآثوريين قادرون، بما يملكون من السلاح والعتاد والدعم الغربي، على إنشاء كيان آثوري في أجزاء مهمة من كردستان. لذلك فكّر بتصفية المارشمعون بدنيا، لأن بغيابه ستضعف شوكة القوات غير النظامية الآثورية، والمتكونة من قبائل متناحرة فيما بينها. وأراد سمكو أن يضرب ضربته هذه بالسرعة الممكنة، لأنّ الإنكليز سبق أن أرسلوا قوة عسكرية، بقيادة جنرال دوينـزر، لمساعدة

(15) League of nations, (Question of Frontier Between Turkey and Iraq), p. 34.

(16) Arfa, p. 53.

الآثوريين. ففي شهر آذار عام 1918 دعا سمكو المارشمعون إلى قرية (كونه شهر) قرب سالماس، للتباحث في مسألة التحالف الآثوري ـ الكردي المشترك ضد الإيرانيين. فحضر المارشمعون ومعه نحو 150 مسلحاً أرمنياً وآثورياً. وحينما كانا يسيران معاً داخل القرية أخذ سمكو سلاح أحد قوات الحماية، وقتل المارشمعون على الفور، ثم تبع ذلك معركة، فمات معظم القوات الأرمنية والآثورية المرافقة لمارشمعون. وتبع ذلك حرب أهلية في أرومية، بين الكرد والآثوريين؛ وقتل، نتيجة لذلك، المئات من الطرفين، إلا أنّ فقدان القيادة المركزية عند الآثوريين، وتأخر وصول قوات الجنرال دوينـزر أنهيا المعركة لصالح القوات الموالية لسمكو، فاضطرت القوات المندحرة الآثورية إلى الانسحاب باتجاه همدان، ونهبت وحرقت في طريقها عشرات القرى الكردية، وأخذت 250 امرأة كردية معها كسبايا. وقد طالب فيما بعد (1919) السيد طه الإنكليز، لدعم جهوده لإعادة النساء الكرديات الموجودات عند القوات الآثورية التي جلبت إلى العراق[17].

إنّ الأسلوب الذي جرى فيه اغتيال المارشمعون هو غريب عن العادات والأعراف الكردية، المعروفة بإعطائها الأمان للعدو، حين يكون في أراضيهم وحمايتهم، إلاّ أنّ سمكو نما وترعرع في بيئة كان الغدر من شيمتها، وكلهم كانوا يحاولون استغلال الكرد، ومن ضمنهم المارشمعون، لذلك فإنّ قرار سمكو التخلّص من المارشمعون كان قراراً سياسياً (ميكافيليا) وبراغماتيا، أملته الظروف عليه. فأنقذ سمكو بهذا العمل جزءاً كبيراً من كردستان، كاد أن يتحوّل إلى كيان أجنبي مدعوم من الغرب القوي.

ولو أخذنا بالحسبان ما حدث خلال الفترة التاريخية نفسها في فلسطين لوجدنا أنّ الحلم الآثوري كان من الممكن أن يتحقق، في ظل الحماية والرعاية الغربيتين. علماً أنّ المرتزقة الآثوريين، العاملين ضمن القوات البريطانية (الليفي) داخل العراق، لم يتخلوا عن فكرة كيان قومي لهم، ودعوا مراراً الإدارة البريطانية في العراق في الفترة (1918 ـ 1932م) إلى أن يُشكّل لهم كيان

(17) F.O. 371/5064, Office of Civil Commissioner, Baghdad. Oct. 8. 1920.

قومي في كل مقاطعة دهوك، ثم يضمّ إليها ولاية حكاري. وكادت هذه الخطة أن تنجح على أرض الواقع، لولا تصدّي القبائل الكردية لها، بقيادة الشيخ أحمد البارزاني والشيخ نور الدين النقشبندي في بامرني والشيخ محمود الحفيد[18].

في شباط عام 1919 أسّس سمكو إدارة حكومية في أذربيجان الغربية، وعيّن مسؤولين لحكومته في المدن والقرى التابعة له، من ضمنها مدينة أرومية... ودعا إلى اجتماع موسّع لرؤساء العشائر والمتنفذين من كردستان إيران، فجرى الاتفاق على تأسيس مجلس «رؤساء عشائر كردستان»، ونوقش موضوع إعلان الدولة الكردية بإسهاب، إلاّ أنّ المجتمعين وبإلحاح سيد طه النهري اتفقوا على تأجيل إعلان الدولة الكردية، إلى وقت آخر. وذلك من أجل دراسة وتبيان مواقف الدول الأوروبية، فكان السيد طه يرى أنّ إعلان الدولة الكردية، سيؤدّي إلى إعلان تحالف إيراني وتركي ضد الكرد. ولذلك حاول سمكو أن يضمن الحماية البريطانية للدولة الكردية التي كان يسعى إليها. ففي مايس 1919، أوفد سمكو السيد طه إلى بغداد للتباحث مع الإنكليز حول موقفهم من الدولة الكردية. وقد عرض في بغداد المطالب الكردية على المسؤولين الإنكليز، وتلخصت بما يلي:

1 ـ تدعم بريطانيا إنشاء دولة كردية فيدرالية مكوّنة من الولايات الكردية في إيران وتركيا.

2 ـ تقدم الحكومة البريطانية الدعم المالي والعسكري للدولة الكردية مقابل قبول الكرد الانتداب البريطاني عليهم، أسوة بالنظام الملكي في العراق.

3 ـ في حالة عدم وجود رغبة عند الإنكليز لتقديم الدعم المالي والعسكري يطلب الكرد إلى بريطانيا عدم عرقلة جهودهم لتأسيس حكومة كردية.

وقد حاول السيد طه إقناع الإنكليز بأنّ تأسيس حكومة كردية سيخدم المصالح الإستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط، لأنّ الدولة الكردية

(18) S. longrigg. Iraq 1900-1950, London, 1953.

ستتحول إلى سدّ مانع، يوجّه الزحف الشيوعي إلى العراق والمستعمرات البريطانية في الشرق. إلاّ أنّ الإنكليز لم يوافقوا على مقترحاته، لأنّه سبق لهم أن عقدوا اتفاقية الصداقة والتعاون المشترك في عام 1919 مع إيران، والتي تلتزم بموجبها بريطانيا بدعم الحكومة الإيرانية، بالاحتفاظ بوحدة أراضيها. لذلك عاد السيد طه خائباً من بغداد، إلاّ أنّ سمكو حاول الاتصال شخصياً بالسيد ت. أ. ولسن نائب الحاكم العام البريطاني في بغداد، وجدد له المطالب الكردية، ولكن دون جدوى[19].

وكان هناك اختلاف بين المسؤولين الإنكليز في إيران والعراق، حول السياسة الكردية، حيث كتب السيد م. ج. روز ضابط الشؤون السياسية في بغداد مذكرة حول الكرد في أرومية ومطامحهم، ودعا فيها السيد روز حكومته إلى تبني دولة كردية في كردستان إيران، لأسباب واقعية، لأنّ الدولة كانت موجودة على أرض الواقع، ولأنه «ليس من العدالة والإنصاف أن نساعد الحكم الإيراني الفاسد والمستبد، على شعب يرفضه، وراغب في الحرية وتقرير مصيره...».

أمّا السيد برستو توريس، الضابط السياسي في تبريز، فكان معادياً لسمكو حيث يصفه وأنصاره بـ«المحمّديين المتعصبين»، ويطلب إلى الحكومة البريطانية عدم التعامل مع سمكو قاتل المسيحيين[20].

وبعد أن يئس سمكو من الدعم البريطاني لحركته، أراد أن يعزّز من سيطرته على المنطقة؛ حيث قام أنصاره باحتلال المدن الكردية في غرب بحيرة أرومية (خوي وسالماس وأرومية ولكستان ودلمان وسقز وبانه وبوكان)، وأصبحت القوات الكردية تسيطر على الطريق البري العام المؤدّي إلى تبريز، وكادت تلك المدينة تسقط أمام القوات الكردية، إلاّ أنّ بريطانيا وروسيا هرعتا لإسناد الجيش الإيراني المنهار وإنقاذه. وأدّى الخبير الروسي فليبوف والخبراء الإنكليز في العراق وأذربيجان الغربية دوراً مهماً، في تعبئة قوات الجاندرمة والقوازق النظامية الإيرانية، لردّ القوات الكردية. ثم تابعت القوات الإيرانية

(19) Bruinessen, p. 387.

(20) Air 29, / 512. Teleg. Tabriz, No. 87 April 7, 1919.

هجومها على القوات الكردية في المناطق الجبلية، ثم دخل سمكو في مفاوضات مع الحكومة الإيرانية. وبما أنّ الأخيرة كانت ضعيفة فاعترفت بحكم سمكو، على معظم مناطق كردستان، بشرط أن يكون ذلك حكماً إدارياً ذاتياً[21].

وفي بداية عام 1920 تحررت ولاية حكاري الكردية في تركيا من القوات التركية، وأعلن رؤساء العشائر المتنفذة في المنطقة، خاصة الأتروشية، والحيدرانية، انضمامها إلى حكومة سمكو الكردية. وبعد معارك طاحنة استطاعت القوات الكردية من جديد في عام 1921 إعادة سيطرتها على مدن ساوجيلاق (مهاباد) وسقز وبانه وسردشت، واستطاع الجيش الكردي إحكام سيطرته على كردستان، ما عدا سنندج وكرمنشاه. وفي خريف عام 1922 عقد سمكو اجتماعاً لمجلس رؤساء العشائر الكردية، وأعلن فيه تأسيس دولة كردية، استناداً إلى اتفاقية سيفر عام 1920 الموقّعة بين الدولة العثمانية والحلفاء في باريس، وأصدرت حكومته جريدة كردستان. وكان العلم الكردي عبارة عن مدفعين جبليين، متثالبين منقوش حولهما كردستان المستقلة[22].

يبدو أنّ الإنكليز والإيرانيين كانوا يميلون إلى الرأي القائل: إنّ حركة سمكو كانت مؤامرة تركية، لإيجاد دولة كردية في كردستان ـ إيران، موالية لمصطفى كمال، وذلك للحد من النفوذ البريطاني في المنطقة، والحيلولة دون قيام الحلفاء بتأسيس كيان أرمني أو آثوري في الحدود مع تركيا، وإلى هذا الرأي يميل الكاتب الروسي لازاريف[23].

ولكن لندع سمكو يتكلم بنفسه عن أهداف حركته: «إنّنا الكرد عانينا الأمرين بسبب حكم الإيرانيين وآن الأوان لتحرير الشعب الكردي من ظلمهم». ويسأل السيد مصطفى باشا ياموكي، في اللقاء المذكور أعلاه مع سمكو عن سبب تركيزه على كردستان إيران في وقت تعاني فيه كردستان تركيا الظلم

---

(21) Bruinessen, p. 387.

(22) انظر: عه بدوول عزيز شمزينى، جوولانه وى رزكارى نيشتمانى كوردستان، ترجمة ف. ئه سه سه رد، ص 106-107؛ لازاريف، ص 239.

(23) لازاريف. **المسألة الكردية**، ص 239.

نفسه. يردّ سمكو قائلاً: «إنّ الحكومة المركزية ضعيفة هنا ويمكن أن تتحول كردستان إيران إلى قاعدة لتحرير المناطق الكردية الأخرى». ويسأل السيد يامولكي سمكو عن الادعاءات الإنكليزية بوجود تحالف بينه، وبين القوميين الترك في أنقرة. يردّ سمكو على ذلك السؤال قائلاً: «أنا أكره القوميين الترك في أنقرة، وأعتبرهم ألدّ أعداء الكرد، وحاولت مراراً كسب عطف الحكومة البريطانية. وأرسلت سيد طه لهذا الغرض وأنا أعلم نحن بحاجة ماسة إلى دعمهم. ولكن ذهبت كل جهودنا سدى مع الإنكليز... أتسلم حالياً من القوميين الترك العتاد الذي أحتاج إليه، وبدونه لا أستطيع الاستمرار في الثورة. وأنا مستعد حالياً (1921) أن أعطي لك كل الوعود والالتزامات اللازمة بأن أعمل مع الإنكليز، بشرط أن تذهب إليهم وتقنعهم بدعمنا. ونحن على ثقة أننا إذا حصلنا على الدعم الإنكليزي، نستطيع أن نطهّر المدن الكردية في وان وأرضروم، سيفاس، حكاري، بدليس، وسنلقّن الترك الدرس الذي لن ينسوه... ونقسم على الشرف بأننا قادرون حتى على فتح أنقرة...».

ويسأله السيد مصطفى باشا يامولكي: لماذا قتلت الآثوريين وخاصة المارشمعون السلمي والموالي للكرد؟ يردّ سمكو قائلاً: «إنّ المارشمعون كان ينوي استغلالنا لتصفية بقايا القوات الإيرانية في أذربيجان الغربية، ليعلن دولة آثورية، ثم ليلتفت إلى الكرد ليتخلص منهم... وهو كان مدعوماً في مسعاه هذا، من قبل بعض الضباط الروس، وبعض المسؤولين الأوروبيين. وكلنا واثقون من ذلك...». وأخيراً يسأله السيد يامولكي لماذا قتلت قواتك بعض المدنيين في مهاباد، في أثناء فتحه للمدينة؟ يردّ سمكو على ذلك قائلاً: «... إثر توجهنا نحو المدينة أرسلنا رسلاً إلى رؤساء القبائل ليأتوا إلينا فلم يأت أحد... أجبرنا القوات الإيرانية على خوض المعارك داخل المدينة، كان هناك ضحايا من الطرفين ومن أهل المدينة. كما تعلم أن الرشاشات كانت تطلق نيرانها على قوات متداخلة مع الأهليين، وفي حالة كهذه لا يمكن تجنب وقوع الضحايا بين الأبرياء، وحالات النهب والسرقة...»[24].

(24) F.O. 371/1778. Mustafa to Abd al Aziz, Sulaimani, December, 12. 1921, pp. 7, 11.

فيتبين من المقابلة أعلاه أنّ تعامل سمكو مع القوميين الترك، كان زواج مصلحة فُرِض عليه بحكم الظروف وعوامل الجغرافيا السياسية لكردستان. وهذه الظروف والاعتبارات نفسها فرضت على القيادات الكردية في الماضي والحاضر التعامل مع قوى إقليمية متورطة في قمع الكرد في بلادهم. وإنّ هذه الحلقة المفرغة التي تميزت بها الحركة القومية في العصر الحديث إن دلّت على شيء فإنها تدلّ على أنّه من الضروري ربط النضال من أجل رفع الظلم عن المسلمين الكرد بنضال الشعوب المجاورة، والعمل على إحداث التغيير الجذري في بغداد وأنقرة، بدلاً من حلبجة والسليمانية وشرناخ وديار بكر.

ولم يكن سمكو من السذاجة السياسية، حتى يربط مستقبله بمصطفى كمال أتاتورك، بل كان يحاول فتح قنوات الاتصال مع قوى أخرى، ففي عام 1921 جاء أحمد تقي، أحد القادة القوميين من كردستان العراق وحاول أن يسأل رأي سمكو في ثورة كردية مناهضة للإنكليز، في منطقة راوندوز، وبدعم الترك. فنصح سمكو أحمد تقي والكرد في العراق، بعدم القيام بثورة ضد الإدارة الإنكليزية في العراق، لسببين:

أولاً: أنّ مصطفى كمال لم يكن مستعداً للدخول في صراع عسكري وسياسي مع الإنكليز، داخل العراق.

ثانياً: كان الإنكليز مستعدين وقادرين على قمع الثورة الكردية.

واقترح سمكو على الكرد في العراق أن يساعدوا جهوده، في تأسيس كيان مستقل للكرد في إيران أولاً. وكلّف سمكو ضيفه أحمد تقي بالقيام بمهمة الوساطة بينه وبين الروس. فأرسله سمكو إلى تبريز لمقابلة الضابط السياسي السوفيتي في تبريز، ليطلب إليه دعم الروس للكرد. وكان ردّ المسؤول السوفيتي سلبياً كالسابق[25].

كما طلب سمكو من الشيخ عبد القادر النهري في إستنبول بالتدخل لدى

(25) خه باتى كه لى كورد له يادد اشتته كانى ئه حمه د تقى دا، بغداد، مطبعة العربية، 1970، ص 82.

السفير البريطاني لدعم جهود الكرد، بتأسيس دولة كردية على الحدود العراقية التركية ـ الإيرانية. وقد أكّد السيد عبد القادر النهري الذي كان يرأس جمعية تعالى وترقي كردستان، مراراً، أنّ سمكو والحركة الكردية مستعدان للتعامل مع الإنكليز لتحقيق المصالح المشتركة. وحاول السيد عبد القادر النهري تخويف الإنكليز من خطر الشيوعية على المصالح الإنكليزية ومن احتمال أن تكون الدولة الكردية السدّ المانع في وجه الزحف الشيوعي، إلاّ أنّ محاولاته هذه ذهبت أدراج الرياح[26].

إنّ محاولة سمكو للاحتفاظ بخيارات عديدة له، في آن واحد، كانت نابعة من دهائه السياسي وبراغماتيته في التفكير. فالقيادات الكردية بعد سمكو، مع الأسف، فقدت هذه الميزة الفريدة. فقيادة ثورة أيلول (1963 ـ 1975م) مثلاً، وضعت كل أوراقها في يد الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذه الأيام لم تعتبر القيادة الكردية بهذا الدرس القاسي، فهناك ملامح في الأفق تدل على أنّ القيادة، مرة أخرى، ربطت مستقبل الكرد مع الغرب، بدون البحث عن البدائل، أو التخطيط لمرحلة حين تغادر القوى الغربية المنطقة.

وهناك مسألة أخرى لم تدركها القيادات الكردية من سمكو إلى اليوم. وهي عدم وجود الرؤية الواضحة والواقعية عندهم، لمسألة توازن القوى دولياً وإقليمياً. فنتيجة لذلك نراهم يتخبطون مع سير الأحداث، فتلقيهم أمواج البحر إلى أحضان الدول الإقليمية. ويسوّغ كلّ ذلك بالضبابية في الرؤية وبـ«التعامل التكتيكي». فمثلاً نرى السيد عبد القادر النهري وسمكو يطلبان دعم الإنكليز لهما ضد إيران وتركيا في وقت سبق أن وقع الإنكليز على اتفاقيات مع هذه الدول الإقليمية للحفاظ على وحدة أراضيها وسيادتها، وذلك لأن التوازن في القوى دولياً اقتضى هذه السياسة الإقليمية البريطانية في الشرق.

بعد الحرب العالمية الأولى كانت المصالح الاستراتيجية البريطانية الاستعمارية ممثلة في احتواء الشيوعية والتوسع السوفيتي نحو المياه الدافئة، في

(26) F.O. 371/17781 Memorandum by Ryan, January 20, 1922.

الخليج. لذلك أرادت بريطانيا أن تدعم الكيانات القومية الوطنية، مثل تركيا وإيران والعراق، لتكون بمثابة المانع في وجه الزحف الروسي. وأنّ إيجاد دولة كردية كان سيؤدي إلى إيجاد حالة من عدم الاستقرار، وتجزئة الكيانات القومية التي أفرزتها اتفاقية سايكس بيكو 1917 واتفاقية لوزان عام 1923.

كان الروس بدورهم يرون أنّ كسب ودّ قادة العراق وتركيا وإيران هو أفضل من كسب ودّ قادة الحركات القومية الكردية التي كانت مبنية على أساس المصالح القبلية والإقليمية. وحتى إذا طمح السوفييت إلى التغيير في بغداد وإيران وتركيا، فذلك يكون من خلال الأحزاب الشيوعية القومية، العاملة داخل تلك الدول، فذلك أفضل لهم من الاعتماد على الأحزاب الشيوعية الكردية المتناحرة فيما بينها، وذات القاعدة الضيقة إقليمياً. واليوم تقوم الكيانات القومية في تركيا والعراق بالدور نفسه المرسوم لها إقليمياً، ولكن ليس لاحتواء الشيوعية (التي احتويت وماتت) بل لاحتواء الحركة الإسلامية التي تقدم البديل الحضاري، في التنمية والنهوض في العالم الإسلامي، للنظام الغربي الليبرالي (الرأسمالي). لذلك فإنّ مسألة الدولة الكردية ستبقى على الرفوف ليتراكم عليها الغبار، حتى حدوث زلزال إسلامي في كلّ من تركيا والعراق.

إنّ إعلان الدولة الكردية، من قبل سمكو في خريف عام 1922، دفع الحكومة الإيرانية إلى مضاعفة جهودها داخلياً وخارجياً، للقضاء على حركة سمكو. وكانت هناك تغيرات داخلية وخارجية عديدة ساعدت على تغيير موازين القوى في كردستان، لصالح القوات الإيرانية. ففي شباط 1921 أعلن رضا خان (فيما بعد رضا شاه) انقلابه العسكري، وأصبح وزير الحربية في حكومة ضياء الدين الطباطبائي. اعتمد رضا خان على جهود خبراء الروس أولاً، فيما بعد الإنكليز، لتوحيد وتقوية القوات الإيرانية، من حيث التدريب والسلاح. فعقد في ذلك السياق عدداً من الاتفاقيات العسكرية والقروض التجارية مع بريطانيا والاتحاد السوفيتي. كما أعلن رضا خان نفسه قائداً وطنياً، لإنقاذ إيران من التفكك. والتفّ الإيرانيون باختلاف اتجاهاتهم السياسية حوله. وقد وصلت ثقة الإيرانيين به إلى درجة أن تطوع 700 شيوعي بقيادة هالو قربان قائد الثورة الشيوعية في جيلان، وجاؤوا إلى كردستان لمحاربة سمكو والحركة القومية

الكردية؛ إلاّ أنّ قتل هالو قربان تبعه قتل لمعظم أنصاره[27].

كما أرسلت الحكومة الإيرانية أمير الدولة مبعوثاً خاصاً إلى مصطفى كمال، واتفق الجانبان سراً على تنسيق الجهود، للقضاء على حركة سمكو. وكما قام مسؤول الإدارة البريطانية في العراق والضباط السياسيون الإنكليز بتكثيف جهودهم في دعم الحكومة الإيرانية، للقضاء على حركة سمكو[28].

ففي صيف عام 1922 أرسلت الحكومة الإيرانية نحو ثلثي قوتها النظامية إلى كردستان ـ إيران، وقاد الجنرال جهان باني، رئيس أركان القوات الإيرانية، العمليات العسكرية ضد قوات سمكو، وقد جرى وضع خطة عسكرية لمهاجمة القوات الكردية من أربع جهات، أمّا سمكو فجمع بدوره نحو 10 آلاف مقاتل كردي، معظمهم من أبناء العشائر الكردية الموالية له، فضلاً عن وجود المئات من الضباط والجنود الكرد النظاميين من كردستان تركيا العاملة مع سمكو. واستمرت المعارك أسابيع عدّة تكبّد الطرفان خلالها أعداداً كبيرة من القتلى والجرحى. وقد وصلت حدّة المعارك إلى درجة اضطر فيها المقاتلون الكرد إلى الهجوم بالمئات، ورغم الضحايا الهائلة وبالسلاح الأبيض والخناجر، على مواقع القوات الإيرانية. إلاّ أنّ التفوق الموجود في العدة والعتاد عند الإيرانيين مكّنهم من إجبار سمكو على الزحف تجاه الحدود التركية. وحال دخول سمكو الأراضي الكردية داخل تركيا حاصرته القوات التركية التي كانت تقف في حالة التأهب لدعم المجهود الإيراني ضد الكرد، فأسر سمكو، وأرسل مع أنصاره إلى مناطق بعيدة عن الحدود[29].

ففي تشرين الأول 1922 ظهر سمكو في منطقة رواندوز في كردستان العراق، في وقت كان هناك صراع سياسي وعسكري بين القوات التركية المتسللة إلى رواندوز، بقيادة القائد التركي أوزدمير، والإدارة الإنكليزية في العراق، حول السيطرة العسكرية والسياسية على شمال العراق، أو ما اصطلح

---

(27) Arfa, p. 61.

(28) لازاريف. **المسألة الكردية**، مرجع سابق، ص 246.

(29) Bruinessen, pp. 388-389.

عليه بـ«مشكلة الموصل». وفي أيلول عام 1922 أعاد الإنكليز الشيخ محمود الحفيد إلى السليمانية، وذلك لاستنهاض الروح القومية الكردية وتقويتها، والتصدّي للمحاولات التركية لإقناع الكرد، وتحت ستار الأخوة الإسلامية، لطرد الإنكليز حتى تستطيع تركيا ضمّ كردستان العراق إليها. وإثر وصول سمكو إلى كردستان العراق، كان هناك توتر في العلاقات بين الشيخ محمود والإنكليز، إذ شعر الشيخ محمود بأنّ الإنكليز يريدون استخدامه كآلة ضد الترك، وبأنّهم غير راغبين في دعم جهوده لتأسيس حكومة كردية، رغم الإعلان عن ذلك في كانون الأول من عام 1922، فأراد الإنكليز استخدام نفوذ سمكو، وكان على الرغم من حقده على القوميين الترك الذين خانوه، يعلم المكيدة التي نصبها له الإنكليز. لذلك قرر سمكو أن يقف بجانب الشيخ محمود، ولكن نصحه باستغلال الصراع الدائر بين الإنكليز ومصطفى كمال، حول السيادة على كردستان العراق للمصالح الكردية. وقبل الشيخ محمود بهذه النصيحة، على الرغم من أنّه كان يعلم أنّ الإنكليز عازمون على القضاء على الحكومة الكردية، واتخذ موقفاً محايداً من الصراع، ومحتفظاً بعلاقة متوازنة مع الطرفين.

وفي كانون الثاني 1923، استُقبل سمكو في السليمانية استقبالاً رسمياً وشعبياً حافلاً، إذ أعلنت العطلة الرسمية، وخرج التلاميذ والجماهير إلى الشوارع للترحيب به ووصفته صحيفة (روزي كردستان) الناطقة باسم الحكومة الكردية «حامي كردستان الذي لا مثيل له... صاحب الجلالة إسماعيل آغا سمكو»[30].

كان الاستقبال الشعبي الذي نظمه الشيخ محمود لشرف سمكو محاولة لشحذ المشاعر القومية الكردية. كما كان أيضاً تعبيراً عن امتنان الشيخ محمود لسمكو، وذلك لقيام الأخير بإيواء عائلة الشيخ محمود حين اضطروا للهجرة إلى كردستان بعد فشل حركته عام 1919 المناهضة للإنكليز. إنّ أحد أسباب عدم قطع سمكو لعلاقته مع الترك، رغم خيانتهم له، يعود وفق رأي أحمد تقي، الذي عاصره، إلى رغبة سمكو في ضمان إطلاق سراح ابنه خسرو الذي

(30) **روزي كردستان**، عدد 10، 10/ 6/ 1923.

كان أسيراً منذ عام 1921 عند الكماليين الترك[31].

ولكن الإنكليز كانوا يروجون هذه الآراء لإظهار سمكو بمظهر القائد الحريص على المصالح الشخصية والعائلية، على حساب المصلحة الوطنية الكردية، ولكن كان سمكو من أشدّ المؤمنين بفكرة الحكومة الكردية المستقلة. هذه القضية كانت شغله الشاغل. ويقول السيد س. ج. أدموندز الضابط السياسي الإنكليزي في كردستان إثر وصوله إلى كردستان العراق في تشرين الأول عام 1922 طلب سمكو إليه شخصياً دعم جهود الحركة الكردية لمواصلة الثورة ضدّ إيران، وبيّن سخطه الشديد على مصطفى كمال[32].

وفي عام 1923 عزم الإنكليز القضاء على الحكومة الكردية، بقيادة الشيخ محمود في لواء السليمانية. وحاولوا أولاً إبعاد سمكو عن السليمانية، وذلك لإضعاف نفوذ الشيخ محمود بين الكرد، فاستدرج أبو بكر آغا رئيس عشيرة بشدر الموالي للإنكليز، سمكو إلى منطقة بشدر.

وفي عام 1924 أحسّ الإنكليز بخطورة وجود سمكو في المناطق الحدودية، على العلاقات العراقية الإيرانية، لذلك طلبوا إلى الحكومة الإيرانية إعلان العفو عنه. فعاد سمكو إلى إيران، وعاش لفترة بين أبناء عشيرته. إلاّ أنّه في عام 1926 نظم حركة مسلّحة كردية لطرد الإيرانيين من كردستان، إلاّ أنّ الإنكليز ساعدوا رضا شاه لقمع حركته، واضطر سمكو إلى الانسحاب نحو تركيا ثم دخل العراق مرة أخرى عام 1930، فنسّق الإنكليز مع رضا شاه أمر تصفيته بدنياً. فأعلن الشاه العفو عنه وعاد سمكو إلى إيران، وبعد عدّة أسابيع أرسل إليه حاكم مدينة نقده للحضور إلى المدينة، بحجة مقابلة رضا شاه، وحال وصول سمكو اغتالته القوات الحكومية، وفي حادث غامض[33]. وبذلك أسدل الستار على فصل من القضية الكردية.

---

(31) أحمد تقي. خه باتى كه لى كورد، ص 70.

(32) C. J. Edmonds Kurds. Turks and Arabs, London, oxford Univ. Press, 1957, p. 307.

(33) Bruinessen, pp. 389; Afra, pp. 63.

وأخيراً لم يطرح الباحثون حتى الآن مسألة فكر سمكو للدراسة والتحليل، وهو المعروف عنه قولاً وعملاً، أنّه كان من المتحمسين لفكرة استقلال كردستان، ولكن بأي عقيدة (أيديولوجية) كان سمكو يفكر لإدارة الدولة الكردية؟ فهذه مسألة تحتاج إلى البحث الميداني العميق في المستقبل.

ينقل مصطفى يامولكي عنه ارتباط سمكو بالسلطان العثماني، واستناداً إلى التقارير التي أرسلها الضباط السياسيون الإنكليز كانت لحركة سمكو «صبغة إسلامية». وإن العشائر الكردية التي التفّت حوله، كانوا مندفعين من منطلق التخلص من النظام التعسّفي الإيراني المستغل. وكانت هناك مشاعر قويّة عند كثير من أنصار سمكو وفي رأي الكثير أنّه كان يمثل القوة القادرة، للوقوف بوجه القوى الأوروبية، في مسعاهم لفرض كيانات أرمنية وآثورية عليهم[34].

ولكن يجب أن نقيّم فكر سمكو، ضمن المرحلة التاريخية التي عاش فيها. ففي العقود الأخيرة من القرن الماضي، وبداية القرن العشرين شعر كثير من النبلاء ورؤساء العشائر من الشعوب غير التركية، بأنّ جماعة الاتحاد والترقّي حرّفت مسار الدولة العثمانية، من كونها سلطنة إسلامية، إلى دولة قومية تركية وأنّ جماعة الاتحاد والترقّي خدعوا أبناء الشعوب الأخرى برفعهم شعارات الحرية والمساواة؛ لذلك شعر بعض النبلاء الكرد ورؤساء العشائر بعلمانية هذه الجماعة، وضمن هذا الإطار يمكن وضع حركة الأمير بدرخان والشيخ عبد الله النهري وحركة سمكو.

ولكن ظهرت، في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، حركة فكرية لادينية (علمانية) بين أبناء الطبقات الأرستقراطية الكردية الذين كانوا يخدمون بصفة ضباط في الجيش العثماني أو أنّهم تخرّجوا من المدارس اللادينية التي فتحت في «مرحلة التنظيمات» داخل الدولة العثمانية. وأصبح لخريجي هذه المدارس، على الرغم من قلتهم، الصوت المسموع والداعي إلى تقليد الحضارة والفكر الغربي. أمّا سمكو فلم يكن ممن درس في هذه المدارس لذلك لم يعرف من الثقافة إلاّ الثقافة الإسلامية التقليدية التي كان يتعلّمها أبناء

(34) Air 20/512. R-N memo (Islamic Agha Simko) February 19. 1919.

رؤساء العشائر، على أيدي العلماء. ولم تكن مسألة عقيدة الشعب الكردي، الإسلامية، مطروحة للبحث عند سمكو.

خلاصة البحث

1 ـ إنّ المنهج الغربي في البحث (بشقيه الليبرالي والماركسي) على الرغم من مزاياه قد لا يكون المنهج الصحيح والموضوعي لتقييم حركة سياسية حديثة في مجتمع مسلم، كمجتمع كردستان، في بداية هذا القرن. وإنّ اتّباع الباحثين الكرد هذا المنهج الغربي، في تناولهم حركة سمكو، أدّى بهم إلى إعطاء أحكام مجحفة وغير علمية. وهذه الأحكام هي نتيجة التأثر بالباحثين الروس، والمصادر الإنكليزية التي كتبت من منطلق السياسة العدائية لسمكو.

2 ـ كانت حركة سمكو حركة إسلامية، ممزوجة بالمشاعر القومية. إلاّ أنّ فكر سمكو والأشخاص المتنفذين حوله بحاجة إلى دراسة ميدانية.

3 ـ يمتاز سمكو من غيره من القادة الكرد الذين سبقوه بالبراغماتية. وكانت تلك البراغماتية في شخصيته، نتيجة للظروف الذاتية والموضوعية التي عاشها الكرد في بداية القرن العشرين. إلاّ أنّ براغماتيته لم تفده في تحقيق أهدافه، لأنّه لم يستوعب، جيداً، لعبة توازن القوى، وخيوطها الإقليمية والدولية. لذلك أصبح سمكو ضحية هذه اللعبة.

4 ـ حاول سمكو ورفاقه مراراً إقناع الإمبراطورية البريطانية بأهمية الكرد والدولة الكردية، في إيقاف المد الشيوعي والزحف الروسي، باتجاه العراق والخليج. ولكن ذلك لم يقنع الإنكليز، لأنّ مصالحهم كانت تقتضي صيانة الكيانات القومية العلمانية في العراق وتركيا وإيران، ودعمها، وهي التي أفرزتها اتفاقيات سايكس بيكو ولوزان.

5 ـ يبدو أنّ معظم السياسيين الكرد في عصرنا هذا يحاولون (بوعي أو بدون وعي) تكرار التجربة الفاشلة التي عاشتها القيادة الكردية في العشرينيات. يقوم هؤلاء القادة اليوم بمحاولة إقناع الغرب بأهمية وجود كيان كردي

علماني وذلك للتصدي للحركة الإسلامية المتنامية في الشرق الأوسط. وإنّ هذا المسعى سيؤدّي بهم إلى التصادم مع التيار الإسلامي في كردستان، والحركة الإسلامية المعادية للغرب، والمهيمنة على الجماهير في الشرق الأوسط. ولن ينظر الغرب إلى فكرة الدولة الكردية اللادينيّة، إلاّ في حالة قيام الحركة الإسلامية باستلام الحكم في العراق وتركيا. ولنفرض أنّ الغرب سمح للكرد ببناء دولة كردية لضرب التيار الإسلامي في الشرق الأوسط، فكيف تستطيع هذه الدولة أن تبقى وتعيش في سلام مع بيئتها الحضارية الإسلامية؟.

obeikandl.com

FO 371/7781

مذكرة حول السيد عبد القادر النهاري وسمكو من المندوب السامي البريطاني/ القسطنطينية

FO 371/7781

20 مايس 1922

سيدي:

إنّه لشرف لي أن أنقل إليكم، طيّاً، مذكرة السيد ريان التي سجّل فيها أحداث مناقشاته، مع السيد عبد القادر الذي يعتبر من الشخصيات القيادية الكردية، في القسطنطينية (استنبول ـ المؤلف).

ثانياً: قد يتذكّر سيادتكم أنّ السيد عبد القادر كان قد ناشد فخامة حكومة صاحب الجلالة، في عدة مناسبات سابقة، ومن خلال مكتب المندوب السامي هنا، أنّ نستفيد من نفوذه في كردستان عامّة، وخاصّة في المناطق المتاخمة للحدود الفارسية.

ثالثاً: سأكون ممتناً لتوجيهات سيادتكم، حول الموقف الذي ينبغي لي أن أتّخذ من طلب السيد عبد القادر، فيما يتعلّق بتسهيل رحلة ابنه إلى الموصل والاتصال بـ(سمكو) وبرؤساء العشائر الآخرين، تحت رعاية الحكومة صاحب الجلالة.

سيدي إنّه لشرف لي ومع بالغ احترامي أن أكون خادمكم الأكثر طاعة وتواضعاً.

هوريس رمبولد

■ ■ ■

مذكرّة السيد ريان

من جديد ناشد السيد عبد القادر، الكردي البارز والمعروف، بعد اتصال بي في 17 مايس، حكومة صاحب الجلالة السماح له بالعمل لمنع البلشفيين (الشيوعيين ـ المؤلف) الذين يعملون باتفاق سرّي مع الكماليين؛ ذلك لإيجاد موطئ قدم في شمال شرق كردستان.

وقد بدأ حديثه معي، بالسؤال عن المعلومات الجديدة التي تتوافر لدينا حول إسماعيل آغا (سمكو). فقلت له إنّه قد ظهرت حقيقتان من التقارير التي وصلتنا، الأولى: هي أنّ سمكو كان يحارب الحكومة الفارسية، وهذا كان مؤكّداً. والثانية: هي أنّه كان يعمل تحت رعاية أنقرة؛ والذي يتبيّن من الأدلة المتجمعة لدينا أنّ هذا الأمر جرى تأكيده، على أرض الواقع.

وسأل السيد عبد القادر عن موقف حكومة صاحب الجلالة؟ قلت له إنّ نشاطات سمكو كانت خارجة عن منطقة نفوذ مندوبيتا، ونحن نراقب الأحداث من بعيد. فالحقائق هي كما ذكرتها سابقاً، وحكومة صاحب الجلالة تريد أن تعرف تصوّر كلّ من بلاد فارس وبلاد الرافدين.

إنّ سمكو يحارب الحكومة الإيرانية، ونحن نأمل أن تكون لهذه الحكومة السيطرة التامّة على أراضيها. فحكومة صاحب الجلالة لا تأمل أن ترى بلاد فارس فريسة للهجمة البلشفية أو تأثيرها، كما ولا تأمل أن تتعرض للغزو التركي. وفيما يتعلّق الأمر ببلاد الرافدين، فحكومة صاحب الجلالة كانت مهتمة باستتباب الأمن ضمن حدود العراق، ولا تريد أن تورّط في المسائل التي تقع خارج هذه الحدود. وكان السبب الأخير هو الذي دفع الحكومة البريطانية في العراق إلى عدم تشجيع بعض الشخصيات الكردية (خارج العراق ـ المؤلف) لجعل العراق نقطة انطلاق لنشاطاتهم في كردستان، وبالمناسبة أنا دحضت الإشاعة التي نعلم أنها منتشرة في بلاد فارس، وقد اكتشفت أنّها قد وصلت السيد عبد القادر أيضاً، التي تقول إنّ السلطات البريطانية في بغداد تدعم سمكو في نشاطاته الحالية.

فيما يتعلّق بالشائعة الحالية، حول كَوْن سمكو قد دخل تبريز أو مدينة ميرخه (مراغة ـ المؤلف) علّق السيد عبد القادر عليها بقوله: إنّه لو كان هنالك صحة فيما ورد في هذه التقارير، من أخبار؛ فهذا يعني أنّ سمكو قد ضمن ولاء قبائل لم تكن في السابق ضمن مناطق نفوذه، وبدون دعم تلك القبائل لما كان باستطاعته أن يحقّق تلك الانتصارات الهائلة. إنّ دعم تلك العشائر كان ضرورياً من الناحية العسكرية، لأنّ عشيرة سمكو، لم تكن قادرة وحدها على شنّ علميات واسعة النطاق.

واشتكى السيد عبد القادر بأنّ كلّ المناشدات التي قدّمها للحكومة صاحب الجلالة لم تلق آذاناً صاغية، وأنّه فشل في كسب ثقة جلالته. وكرّر، كما فعل ذلك عدّة مرات، بأنّه كان في موقع يساعده على السيطرة على الأكراد، في الولايات الشمالية الشرقية، لو أعطيت له الفرصة للتحرك. وأكد هذه المرة، وبثقة، قدرته بإقناع سمكو للعمل وفق مصالحنا، وأضاف أنّه لا طائل من الاعتماد على أشخاص مثل مصطفى باشا وآخرين الذين يحومون هنا وهناك هؤلاء ليس لهم تأثير حقيقي في الكرد.

قلت له إنّ المسألة ليست مسألة ثقة أو عدم ثقة في شخصه، وإنّما هي مسألة سياسة حكومة صاحب الجلالة، والتي لا تريد أن تورط نفسها في كردستان. واتفقت معه تماماً على الأهمية الضئيلة نسبياً لمصطفى باشا، والأشخاص الآخرين الذين ذكرهم. إنّ حكومة صاحب الجلالة لم تستخدمهم، وخطة جلالته أن لا تستخدم أيّ شخص، بأيّ حال، لغرض إثارة الكرد، وعرضاً قلت، والذين هم غير متفقين أصلاً فيما بينهم. وفي هذا السياق عدت إلى الحديث حول تفاهم سمكو مع الكماليين، وموقف رؤساء عشائر معنيين، من أمثال أبناء إبراهيم باشا وعبد الرحمن من شرناخ.

أصرّ السيّد عبد القادر، بقوة، أكثر من ذي قبل، على أنّه قادر على أن يجمع الكرد الشمال الشرقيين حوله، وأنّه يستطيع أن يجعل سمكو يفعل أيّ شيء تريده حكومة صاحب الجلالة. وكان مطلبه الأخير أنّه يجب أن يسمح له بإرسال ابنه إلى الموصل، أو التسهيلات التي ينبغي أن تعطى له لنقل الرسائل إلى سمكو والآخرين، لإعلامهم بالموقف الذي تأمل حكومة صاحبة الجلالة أن يتخذوه. وقال بأن خطر البلشفية أصبح أكثر تهديداً من ذي قبل، ومن الممكن أن يشكّل الكرد حاجزاً صلباً ضدّ الاختراق البلشفي، ولكن إذا لم تتخذ الإجراءات في هذا الاتجاه فإنّ البلشفيين سينجحون بسهولة في عملهم الذي يؤدي إلى التفرقة، وقد يستغرق الأمر شهرين أو ثلاثة أشهر؛ ولن يستطيع أن يضمن أنّه حتى تأثيره الخاص يمكن أن يكون مؤثراً، إذا أتيح المجال للقوات المنافسة، لكي تعمل بحرية في هذه الفترة، فقلت للسيد عبد القادر أنني سوف أكتب تقريراً حول ما قال، كما فعلت في السابق. إنّني أعلم مع ذلك بأنّ سيادتكم لا يمكنكم إعطاء أيّ إجابة لمطالبه النهائية، دون توجهات من حكومة صاحب الجلالة.

كنت دائماً أشعر بأنّ السيد عبد القادر، بسبب مكانته الدينية بين الكرد، يمكن أن يكون عاملاً مفيداً في ظروف خاصة، في المناطق القريبة من الحدود الفارسية، ولكنني أشكّ فيما إذا كان قادراً على التأثير في سمكو نفسه، إلى الحد الذي يدعيه هو، ولكن هناك احتمال لشيء من الصحة فيما يقوله حول اعتماد سمكو على دعم العشائر التي لا تخضع لسلطته (سمكو) مباشرة.

■ ■ ■

مصطفى اشا ياملكي في لقاء تاريخي مع سمكو
رقم الوثيقة FO 371/7781
سليمانية
12/كانون الثاني/1921
ابني الأعز عبد العزيز بيك

استلمت رسالتك المؤرخة بتاريخ 20 تشرين الأول 1921، والتي كانت جواباً عن رسالتي لكم والمؤرخة في 13 أيلول 1921، واستلمت من قبل رسالتيك المؤرختين في 15 أيلول و 6 تشرين الثاني 1921. علماً أنّ الرسالتين الأخيرتين كانتا معنونتين إلى أبناء النقيب، وكان ذلك في أثناء عودتي من الرحلة إلى المناطق الخاضعة لنفوذ سمكو (إسماعيل آغا شكاك).

وسأعطيك بعض المعلومات حول الوضع الراهن الذي كنت شاهداً عليه:

غادرت السليمانية في الساعة الحادية عشرة من يوم الاثنين المصادف 31 تشرين الثاني إلى مناطق عشائر مذكور مارا بـ(وزنة).

إنّ بابكر آغا وأخاه عباس سليم كريمان وذكيّان، ويحظى بابكر آغا باحترام جيد لدى السلطات البريطانية، كما يتقاضى مرتباً جيداً منهم. ويسود الأمن والسلام في مناطق عشائرهم ويبدو أن المنطقة لم تتأثر بتحركات حزب الاتحاد والترقّي الشريرة التي تنطلق من تركيا. تعدّ عشيرة بابكر آغا من أقوى العشائر القوية، وهناك صلة القرابة بين رؤساء العشائر الأخرى في المنطقة. وإنّ عشائر مامش وكورك وديبوكري ومنكور وبكزادة هي عشائر مسالمة، وإنّ عشيرة بكزادة تعدّ أكبر العشائر، وتقطن منطقة سقز والمناطق المحيطة بها.

ولعشيرة بابكر آغا صلات وثيقة مع عشيرة زرزا القاطنة في منطقة شنو ولهم أيضاً صلات وديّة مع عشيرة شكاك التي يرأسها سمكو، والتي يمتد نفوذها إلى غرب وشمال غرب أرومية.

يرأس عشيرة نور الدين مجموعة من الرؤساء العارفين بالأوضاع في المنطقة، ولهم قوة عشائرية تقدر بنحو 2500 إلى 3000 فارس ونحو 4000 من المشاة.

إنّ هؤلاء الرؤساء واعون ومدركون جيداً أنّ الرفاهية في كردستان ـ الجنوبية وسعادة الشعب الكردي تعتمدان على قبول سياسة الإنكليز، ورفض الانصياع للسياسات المدمّرة للمصالح الكردية التي يقوم بها حزب الإتحاد والترقّي في كردستان الشمالية، وجميع تركيا، لا تتمتع منطقة بشدر وسردشت والقرى الحدودية مع إيران التي تخضع لمير آفيا ومير عبد الله بالأمان والاستقرار.

وإنّ انضواء عشيرة صغيرة من راوندوز إلى جماعة الاتحاديين، وكنتيجة للأعمال الشريرة التي يقوم بها بعض الضباط السابقين (في الجيش العثماني ـ المؤلف)، غير القادرين على العودة إلى ديارهم. يعاني أهالي راوندوز والمنطقة معاناة شديدة نتيجة هذه السياسة، ويبحثون عن وسيلة تمكّنهم من الخلاص مما هم فيه.

رغم أنّ هناك الكثير من الناس الأذكياء الواعين، والقادرين على وضع حدٍ لهذه التصرفات، إلاّ أنّ السلطات البريطانية ترى حالياً عدم اتخاذ إجراءات فعّالة بهذا الصدد، ويبدو أنّهم لا يعيرون هذا الموضوع أهمية تذكر.

أجريت مقابلة مع بايز آغا، رئيس عشيرة أوجاق كاك، والمعروف بين عشائر المنكور ومامش وبيران والذي يسكن الوتان.

يتحمل حزب الاتحاد والترقّي مسؤولية الحرب الدائرة في أناضول، والغزو اليوناني؛ لأنّ هذا الحزب قام في أثناء الحرب العالمية بارتكاب المذابح، وشنّ الهجمات، من وقت لآخر، على سكان بروسا وسميلنة بعد الهدنة؛ فضلاً عن تمرّدهم على السلطان وتجاهلهم رغبات الناس.

وزرت كيان خدرخان عزيز في منطقة ميرغيان، وعبّرت له عن ارتياحي لوجود السلام والاستقرار في منطقتهم، وعدم تأثرهم بالدعايات الشريرة التي تقوم بها جماعة الاتحاد والترقّي، علماً أنّ هذه الجماعة تقوم بارتكاب جميع أنواع القتل الجماعي، تحت شعار الجامعة الإسلامية.

وفي 9 تشرين الأول وصلت سابلاغ (مهاباد) عائداً من منكور، وشاهدت بأمّ عيني هجرة سكان سابلاغ، إلى مناطق العشائر المجاورة (مكري وديبوكري)، وأنّ سبب هذه الهجرة التي جرت في ظروف يرثى لها، يعود إلى وجود إشاعة بين الناس بأنّ هناك قوات إيرانية زاحفة على المدينة، وقوات عشيرة شكاك الزاحفة بدورها من أرومية، لتنشب المعركة المتوقعة داخل المدينة. رغم أنني بذلت ما في وسعي كي أبيّن لهم عدم صحة هذه الإشاعات، إلاّ أنّهم لم يسمعوا لي وواصلوا إخلاء المدينة. يبدو أنّ شبح المعاناة المريرة السابقة، ما زال يطاردهم. وحين كنت ممعناً النظر في مناظر دل خراسان ظهرت قوة مكوّنة من نحو 300 فارس متجهة نحوي، أدركت فيما بعد أنّ هذه القوّة هم من أتباع حمه آغا مامش، والشيخ عبد الله نصر ممثلي سمكو وسيد طه وأنّهم قادمون من أجل مصالحة قبيلتي ديبوكري ومنكور.

أمضيت الليل في مسكن الشيخ عبد الله، وكان لي حديث طويل مع ممثلي سمكو والسيد طه. وفي الليلة نفسها وصل خبر وجودي هناك عبر الهاتف إلى سيد طه وسمكو في جراك.

إنّ اليومين اللذين أمضيتهما، هناك، كانا مصدر سرور لأهالي المدينة، وعاد المهاجرون إلى قراهم، وبدأت المتاجر تفتح أبوابها.

غادرت سابلاغ متوجهاً إلى براندیز، إذ يستقر سيد طه، وبقيت هناك يوماً. وبعد أن تركت ابن أخي المريض هناك، غادرت أنا وسيد طه براندیز قاصدين سمكو، مارين بأورومية، وبينما نحن في الطريق وصلتنا برقية مفادها أنّ قوات الشكاك تتأهب للهجوم على قوات الجيش الإيراني التي كانت تتمركز في المنطقة، بين خوي وتبريز. (إنّ جميع خطوط الاتصالات قد وضعت في الأماكن المهمّة، في السنة الماضية، بعد سيطرة الشكاك على أورومية).

وفي الصباح التقيت سمكو، وخلال لقائي الطويل معه سألته الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ماذا تأمل أن تحققه من كل هذه العمليات التي بدأت ضد الحكومة الإيرانية، خلال العامين المنصرمين؟

الجواب: تمارس الحكومة الإيرانية الظلم والعدوان ضد الكرد، وإنيّ أبذل قصارى جهدي لتحريرهم من السيطرة الإيرانية. لذلك قررت العام الماضي السيطرة على مدينة أورومية وضواحيها (التي كانت للأكراد في الماضي) ومدينة سالماس وهذه السنة أيضاً طهّرنا مدينة سابلاغ من الإيرانيين.

السؤال الثاني: في هذه الحالة يبدو لي أن هدفك تحرير كردستان، والكرد، ولكن لماذا لا تبدأ بتحرير مقاطعات وان وارضروم وحكاري وخربوت أولاً، وتحرير سكانها الذين يعانون الأمرين بسبب حكم مصطفى كمال ذي الطبيعة العدوانية تجاه الكرد والذي يرفض الاعتراف بصاحب السمو السلطان رمز وحدة الدين، ويعمل ضده؟ ولماذا لم تختر وحتى الآن علماً لتظهروا للحكومات الأجنبية إنّ هدفكم هو ليس مجرّد إراقة الدماء وإنما الحصول على حريتكم بطريقة مشروعة، أليس من الأفضل أن تنتظروا حتى تصفى مسألة مصطفى كمال، ثم تفاتح السلطات الإيرانية وتنتظر موقفهم؟

الجواب: تصوّرت أنّه من الأحسن أن يبدأ نضالنا (ضد) الإيرانيين لأنني لم أر من الحكمة قطع العلاقات مع الحكومة التركية التي تزودنا بالسلاح والعتاد في ثورتنا الحالية. ولم أر من الضرورة إرسال خطاب إلى الحكومات الأجنبية، لأنّهم ينظرون إلينا كأناس أميين وقبليين غير منظمين. وعلى كلّ حال أنا أسمع حالياً أنّ الأوضاع غير مستقرة في أوروبا، وأنّ الدول الأوروبية منشغلة بصراعاتها الداخلية. ولكننا سنبذل قصارى جهودنا للحيلولة دون عودة القوات الإيرانية إلى سابلاغ. ونقف ضدّ كلّ المحاولات الإيرانية لإعادة سيطرتها على المنطقة الكردية المحررة، وسندافع عن أرضنا إلى آخر رجل في الشكاك.

السؤال الثالث: ماذا كان الدافع وراء قتلكم لأكثر من 800 من أفراد الجندرمة الإيرانية الذين جرى أسرهم في العام الماضي؟

الجواب: بما أنّ الإيرانيين كانوا يستغلّون كلّ الفرص للنيل منّي، وبما أنّ سابلاغ مدينة كردية، رأيت من الضرورة القيام بتوجيه ضربة إلى القوات الإيرانية، في مدينة سابلاغ.

لم تقبل القوات الحكومية بإخلاء المدينة، وتحصنوا داخلها، حيث أجبرونا على اقتحام المدينة، وبعد ساعات قليلة من المعارك بالأسلحة الرشاشة والمدافع والبنادق، اضطر قسم من القوات الإيرانية إلى الانسحاب من المدينة، واستسلم قسمٌ منهم لنا ومن ضمنهم ملك زادة. وبعد ذلك تبيّن لنا أنّ قسماً كبيراً منهم كانوا من الجنود الذين سبق أن اشتركوا في المعركة الكبيرة التي دارت قرب أورومية. علماً أنّ المدينة الأخيرة كانت قد تحوّلت، في أثناء الاحتلال الروسي (خلال الحرب العالمية الأولى ـ المؤلف) إلى ثكنة عسكرية كبيرة للروس، وحيث جمعت فيها مقادير كبيرة من السلاح والعتاد والحديد، وكان هناك مركز كبير للعتاد الحكومي داخل المدينة يسمى حيدر آباد. وبعد انسحاب الروس احتفظت الحكومة بكل هذا السلاح هناك. لذلك حين هاجمنا أورومية وسيطرنا عليها جرى أسر معظم أفراد الجندرمة هناك. وبعد الأسر جرى إيواؤهم وتزويدهم بالطعام والملابس المناسبة، وتعهّد هؤلاء بالمقابل بعدم الاشتراك في المعارك المستقبلية ضد الكرد. ولكن في معركة سابلاغ، وخلافاً لكل وعودهم، انظمّ هؤلاء

الأسرى من جديد إلى القوات الإيرانية وذلك سعياً وراء قتل الكرد. لذلك أمرت بإعدامهم، وكان عددهم نحو 400 رجل.

السؤال الرابع: ماذا كان سبب صراعكم مع الآثوريين؟ وهل من الممكن أن تخبرنا لماذا قتل المارشمعون الذي كان مسالماً ومؤيداً للكرد؟

الجواب: إنّ معاناة الشعب الكردي في أثناء الحرب العالمية الأولى على أيدي الروس والترك موضوع طويل، ولا يسع الوقت هنا لذكرها وقد تكون على علم بذلك، ولكنني أحاول الوقوف عند مسألة المارشمعون.

لا يخفى عليكم أنّه، في أثناء الحرب وقعت مشاكل بين الترك والأرمن في كردستان الشماليّة، وادّعى الآثوريين بأنّهم ضحايا الترك أيضاً. لذلك وقفوا مع الأرمن في أثناء المعارك بين الطرفين. بعد الثورة الروسية انسحبت قوات الروس من كردستان، ولكن قبل مغادرتهم سابلاغ وأورومية سلّموا قدراً كبيراً من أسلحتهم والعتاد الحربي، بما فيها الرشاشات الكبيرة والبنادق الكثيرة، للآثوريين. وفي هذه الأثناء كانت هناك خطة اشترك فيها بعض الضباط الروس، وبعض الشخصيات الآثورية، وبعض المسؤولين من الدول الأوروبية التي كانت تهدف إلى استغلال انهيار السلطة المركزية في إيران، وذلك للسيطرة على آذربيجان. وبما أنّ كردستان منطقة محاذية مهمة، فاقتضت الخطة المذكورة كسب ودّ الكرد أيضاً.

واستناداً إلى هذه الخطة، ففي حالة السيطرة على أذربيجان وإيران فإنّ الأجواء ستكون مهيّأة لإعلان الدولة الآثورية في ولايتي بدليس وحكاري (كوردستان الشمالية). ولهذا حاول الآثوريون، وبمختلف السبل، إخفاء نواياهم الحقيقية، وإظهار مشاعر الودّ تجاه الكرد بصورة عامّة، والشكاك بصورة خاصة، لكونها عشيرة قوية في المنطقة. في أحد هذه الأيام جاء المارشمعون، ومعه خيالة من الآثوريين والأرمن لزيارتي (سمكو).

وقد أفصح لي المارشمعون، وبكل صراحة، عن نيته في الهجوم على أذربيجان بدعم الكرد، وطلب مني الدعم لهذا المشروع. أجبته قائلاً إنّ الفكرة جيدة، ولكنّي أحتاج إلى فرصة للتفكّير في المسألة ومفاتحة رؤساء العشائر الكردية الأخرى، وإنّني سأخبر الموقف خلال أيام قليلة. لقد علمت السلطات الإيرانية بخطط المارشمعون وطلبوا مني في رسالة بعدم دعمه، وقتله مقابل دعم مالي منهم لي. لأسباب عديدة، استقر بي الرأي على قتل المارشمعون الذي كان يخطط، وراء ظهرنا، للسيطرة على كردستان الشمالية، فقمت بقتله، وبذلك وضعت حدّاً لطموحاته السياسية. ففي البداية فرح الإيرانيون بذلك، وأرسلوا حاكماً لإدارة أورومية ثم بدأوا فيما بعد بانتهاك كرامتي، وارتكاب المذابح في مناطق أورومية.

بدأت علاقتي مع الحكومة الإيرانية تتدهور، وانتهت ببعض المصادمات العسكرية

التي أدّت إلى سيطرتنا في العام الماضي على أورومية وضواحيها، وعيّنا موظفاً لإدارة المنطقة.

السؤال الخامس: ألم يبق آثوريون في جولة مرك وحكاري؟ علماً أنّي رأيت عدّة آلاف منهم في بغداد منهمكين في الحصول على البغال لتنقلهم مرة أخرى إلى المنطقة، وبدأت فعلاً عدّة قوافل منهم مغادرة بغداد؟

الجواب: نعم إنّي استلمت برقية من الحاكم العسكري في وان المعين من قبل مصطفى كمال، فيما يتعلق بهذا الموضوع. وأريد من كاتبي ميرزا قراءة نص البرقية التي ورد فيها ما يلي:

«إنّ الحكومة اليونانية التي استلمت مساعدات مادية ومالية أخرى تعدّ للهجوم على القوميين الترك في انقرة. علماً أنّ الأخيرة تقوم بإعلان الحرب ضدّ اليونان وتطالب في الوقت نفسه الدول الأوروبية الأخرى بمساعدتها لعقد الصلح معهم. نعلمكم عن انتصاراتنا في كل الجبهات، وكما نعلمكم بأنّ بريطانيا تقوم حالياً بتشجيع وتسهيل عودة آثوريي كردستان ـ الشمالية وحكاري إلى مناطقهم عبر زاخو وجزيرة، ولكننا سنتخذ الإجراءات اللازمة لمنع ذلك».

هذه هي آخر الأخبار التي وصلتنا، وبما أن الآثوريين هم أعدائي الرئيسون فإنني لن أسمح بعودتهم إلى حكاري، ويبدو أنّ الأتراك يؤيدونني في هذا الأمر.

السؤال السادس: هل هناك منظمة قومية تعمل بين الكرد في منطقتكم؟ فمثلاً هل لكم علم خاص؟ وكيف تديرون شؤون المنطقة التي تخضع لسيطرتكم؟

الجواب: حالياً ليس هناك جمعية، وأنا فقط شخص في كردستان، نودّ أن يتحرر الوطن أولاً. أمّا من يكون الحاكم في المنطقة فهو أمر ليس ذا أهمية، وليس لي طموح في هذا المجال. أمّا فيما يخص العلم فإنني لا أرى داعياً له، ولكن الشكاك بدأوا يتخذون أعلاماً مختلفة، لكل فرقة من الفرق المقاتلة علمها كما ترى.

السؤال السابع: هذا يعني إذن أنّ لك طموحاً قومياً، أليس كذلك؟ ولكن إذا كان الأمر كذلك لماذا جرى حرق الأبرياء الكرد وسلبهم، وقتلهم في سابلاغ، وخاصة قاضي لطيف، أحد أعيان المدينة، الذي كان يحظى باحترام الكثيرين؟ (تقع سابلاغ في شرق موكري وتستوطن هذه المنطقة قبائل ديبوكري وبلباس ومنكور ومامش وبيران القوية، كما تعلم أنّ هناك علاقات وديّة بين سكان سابلاغ والقبائل المذكورة)، ألا ترى أنّ الموقف الذي اتخذتموه تجاه سكان سابلاغ، سيؤدي إلى سوء التفاهم بين الشكاك، وهذه القبائل؟ ألا تخشون أن تقوم الحكومة الإيرانية باستغلال هذه الخلافات القبلية لصالحهم؟ حسبما سمعت أنّه جرى سلب أموال حاجي إيلخاني زادة الرئيس القوي لعشيرة ديبوكري. لذلك لا أستبعد أن تتّحد جهود منكور وبانة زادة كورك وسكان منطقة سقز ضدكم.

الجواب: لمّا بدأنا الزحف على سابلاغ، أرسلنا نداءً إلى جميع الرؤساء ليقوموا بدعمانا، ولكن مع الأسف لم يلبّ أحد منهم طلبنا، وكذلك لم يرسل السكان ممثلاً عنهم للتفاوض معنا، وأصرّ الإيرانيون على مواصلة القتال داخل المدينة. وبعد معركة دامية سقطت المدينة بأيدينا وكان هناك الكثير من الضحايا، وقسم من هؤلاء كانوا من الشكاك. أثناء المعارك اختلط المقاتلون بالسكان داخل المدينة. وكانت المعارك تجري في الشوارع بالأسلحة الرشاشة.

رغم أنني كنت ضد السلب والنهب إلاّ أنّه في ظروف كهذه لا يمكن منع ذلك. سأحاول بصورة عامة إرضاء ما أستطيع من مشاعر المدينة. نعم إننا نشك في نوايا المنكور وديبوكري كما أشرتم، ولكننا لا نعير لهم أهمية... إنّ عشيرة مامش مخلصون لنا، وجرى تعيين حمزة آغا ابن الفقيد محمد آغا حاكماً على سابلاغ، وعيّن أخوه كريم آغا مشرفاً على منطقة همجان. وبعد شهر من سقوط سابلاغ قام أهالي بانه وعشيرة كورك بطرد الإيرانيين، من سقز، والسيطرة على المدينة، وبطلب من أهالي سقز أرسلت الحكومة الإيرانية 300 إلى 400 من قوات الجندرمة إلى سقز؛ واستطاعت القوات الحكومية أن تطرد البانيين من سقز، واستطاع أربعة من الشكاك الهروب.

السؤال الثامن: يرى البعض أنّ هدف حركتكم الحالية هو الانتقام الشخصي، وأنّك تحاول أن تستغل الأحداث الحالية للانتقام من الحكومة الإيرانية التي اغتالت أخاك الذي كان عزيزاً عليك، وجدّك وأفراداً آخرين من عائلتك الذين قتلوا، قبل عامين. وبالتحديد كان مقتل أخيك نتيجة إرسال رسالة كانت تحتوي على متفجرات، ويقال إنّ حركتك بدأت منذ ذلك الوقت.

الجواب: أعرف أنّك على معرفة جيّدة بهذه الأمور، فتعرف جيداً كم من أجدادي قتلوا، وكم عانى الكرد من الحكومة. فقتل من أجدادي إسماعيل خان وعلي خان وقتل العديد من أقربائي بيد الحكومة، وبأساليب وحشية ولكني أعمل حالياً لصالح الشعب الكردي، ولا شك في أن الفرصة أيضاً مؤاتية للانتقام من الحكومة.

ولدي العزيز: كان ذلك نص الحديث الذي دار بيني وبين سمكو في ليلة 19 تشرين الأول 1921. ولكن في الصبح التقينا من جديد (أنا وسمكو وسيد طه) في غرفة خاصة، وناقشنا هذه المسألة الدقيقة سراً.

قلت لسمكو: «لا يخفى عليكم أنّ الظروف التي نعيشها هي غير الظروف التي كانت سائدة أيام الشيخ عبيدالله. إنّ الحكومات الأوروبية، وحتى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية، تراقب الأحداث في كردستان عن كثب، وكما تعلم أنّ السليمانية وضواحيها تديرها اليوم الحكومة البريطانية، فإنّ الأخيرة تراقب الأحداث الجارية في كردستان، وإذا وجدت أنّ هناك سياسة لا توافق مصالحها فإنّها لن تتردّد في اتخاذ موقف سياسي، أو عسكري، لحماية مصالحها.

من المعروف أنّ لكم صلات مع القوميين الترك في أناضول (تركيا)، وهذا ليس في صالحك. لأنّ الاتحاديين فقدوا مصداقيتهم في العالم المتحضّر، لذلك من المتوقع أن تنتهي ما تسميه بالأهداف القومية بالفشل الذريع، لأنّك ستنعزل عن الجميع ولن يدعمك أيّ طرف. ولا يخفى عنك أيضاً أنّ حركتك القومية لن يكتب لها النجاح ما لم تحظ بدعم إحدى الدول الأوروبية، خاصة حكومة بريطانيا العظمى التي أصبحت جارة لنا في كردستان. تنظر القوى العظمى إلى حركة الاتحاد والترقّي في تركيا كالعصاة، وعدّهم صاحب السعادة السلطان ثوريين خارجين على القانون، وهذا هو سبب زحف القوات اليونانية نحو أنقرة، وتقوم تلك القوات حالياً بأخذ الاستعداد لشنّ هجوم آخر. إنّ معظم السكان، وحتى في تركيا، يرحبون بالقوات اليونانية، ويعبرون عن عدم ارتياحهم للقوميين الترك وهم يعدّون من ألدّ أعداء الكرد.

إنّ معاناة الشعب الكردي العديدة والشديدة منذ عام 1908 غير خافية عنكم. إنّ اليونانيين هم أفضل من القوميين الترك، لأنّهم متحضّرون، أمّا القوميون الترك فهم متخلفون وجهلة.

اتصل باليونانيين وإذا أمكن خطّط معهم لإنقاذ الكرد من تعسّف القوميين الترك، وأخبر الحكومة البريطانية بذلك. أصدر تصريحاً بهذا الموضوع. اتصل بالحكومة الإيرانية وحاول أن تصفّي خلافاتك معهم بالمفاوضات، مستغلاً الأوضاع الحالية لصالحك.

حاول أن تصفّي الأجواء مع سكان المناطق التي لا يوجد فيها ممثل للحكومة البريطانية أو الحكومات الأوروبية وإذا عملت بموجب ما طلبته منك فسوف تجد آذاناً صاغية لدى الحكومات الأوروبية».

ردّ سمكو على تعليقي هذا قائلاً: «أكره القوميين الترك، أعتقد هم أكثر عداوة للكرد من الإيرانيين، ولكن أرسلت في عدة مناسبات رسائل إلى الحكومة البريطانية مؤكداً عدم رغبتي في الوقوف بوجه سياستهم في المنطقة. نعم نحتاج إلى الدعم البريطاني دوماً، ولكني أحتاج إلى تعهّد منهم بصدد استعدادهم لدعم القضية الكردية، وإذا عملوا ذلك سأتصرف بطريقة تحقق رغباتهم كلياً. ما نحتاج إليه اليوم بصورة أساسية حالياً هو العتاد، إذا لم نحصل عليه سنواجه صعوبات كثيرة.

ولتأكيد استعدادي ورغبتي للتعاون، مع الإنكليز، أرسلت سيد طه إلى بغداد، ولكن مع الأسف كان ذلك بدون جدوى، والآن أنا وسيد طه نحلف لك بأغلظ الأيمان بأننا مستعدون للعمل مع الإنكليز، فإذا استجابت الحكومة البريطانية لدعوتنا، وأرسلت لنا مباشرة، أو من خلال العشائر الكردية، خاصة بشدر، ما نحتاج إليه من السلاح والعتاد، ولم تتركنا لرحمة الحكومة الإيرانية، وأدخلتنا ضمن حمايتها ورعايتها وقبلت بالشروط التي أعطيناها لك، أو بأي اتفاق يعقد بيننا وبين أحد ممثليهم، فإنّنا قادرون على طرد القوميين الترك، من وان وسيواس وحكاري وبدليس كما وسنلقن الموجودين في رواندوز

درسا. وأرجو أن تعلمهم بأننا جادون في هذا الأمر، ونعطي لك كلمة الشرف، بأننا راغبون في طرد القوميين الترك من الأناضول، جميعها، ولنا القدرة حتى على احتلال أنقرة».

وبعد أن انتهينا من الحديث غادر سمكو وسيد طه متوجهين إلى جبهة المعارك، وانضمّا إلى قوات المدفعية والمشاة والخيالة التي بدأت تزحف نحو مقاطعة سلماس، وأنا بدوري رجعت إلى سابلاغ عبر أورومية.

هناك في أذربيجان الغربية رئيس عشرة يدعى أمير أرشد، ويقال إنّه يملك 6 أو 7 آلاف فارس شجاع، ويملك 40 أو 50 قطعة سلاح وأعداداً جيدة من الأسلحة الرشاشة. وإنّ الحكومة الإيرانية تقوم بتجهيز جيش كبير من أنصار أرشد لمواجهة تحركات قوات سمكو. أعطي لأرشد الكثير من المال والسلاح، وإنّ هذه القوة تتركز الآن، في منطقة تدعى شرق خانة التي تسيطر على الضفاف الشمالية، لبحيرة أورومية. وأنّ طلائع هذه القوات بدأت تتوافد على تبريز وخوي، وأرسلت بعض المفارز إلى سلماس.

وفي محاولة منه لإرباك قوات سمكو أرسل أرشد مفرزة لوضع كمين لقوات سمكو في منطقة شاكر ياكي الواقعة بين سلماس خوي.

في أثناء مغادرتنا كان سمكو يقود قوة للهجوم على قوات أرشد المذكروة. واستناداً إلى المكالمات العاطفية التي وصلتني بعد العودة فإنّ مجموعة من قوات المشاة التابعة لسمكو بدأت تأخذ مواقعها في التلال المحيطة بمدينة خوي، في حين يقوم سمكو حالياً بالهجوم على المناطق الأخرى مستخدماً المدفعية والمشاة، وفي معركة وقعت بين طلائع قوات سمكو وقوات أرشد في شرف خانة يبدو أن الطرفين تكبدا خسائر كبيرة، وانتهت المعركة بانسحاب قوات أرشد من المنطقة.

يبدو أن سمكو لم يلاحق قوات أرشد المنهزمة، وقد بدأ هو الآخر بالانسحاب وفي هذه الأثناء أحرقت قوات سمكو قرى سايز وتاج الدين والعديد من القرى الأخرى وأخذت قواته بعض أنصار أرشد الذين استسلموا لقواته، كأسرى حرب إلى خوي.

إنّ أيّ وصف لمدينة أورومية لا يمكن أن يجري بدون الإشارة إلى الازدهار الذي ساد في المدينة قبل الحرب، ولكن أثناء الحرب تحّول الكثير من أجزاء المدينة إلى أنقاض نتيجة المعارك التي كانت تدور بين القوات التركية الغازية، من جانب، والأرمن والآثوريين من جانب آخر. إنّ الحرب الدائرة الحالية بين الكرد والقوات الحكومية سببت الكثير من المعاناة لأهل المدينة.

في 16 تشرين الثاني غادرت أورومية متوجهاً إلى سابلاغ لإجراء بعض الاتصالات الهاتفية، مع أوروبا، وحتى أستطيع أن اطّلع على آخر مجريات الحرب، خاصة تلك المعارك التي دارت بين قوات سمكو وأرشد. نـزولاً عند رغبة بعض رؤساء العشائر،

توجهنا إلى قرية ديبري (قرية عبدالله آغا) وهناك التقيت رؤساء العشائر التالية: خاني علي خان، وكوسة كيالي كريم آغا، وعدد آخر من وجهاء عشائر المنطقة.

وصل كريم آغا وأخوه مازن آغا إلى القرية واطّلعنا على آخر أخبار المعارك علماً أنّ الكثير من رؤساء العشائر أدانوا وبشدة سمكو، وذلك لقيام الأخير بحرق مدينة سابلاغ، وأبدى الكثير منهم عدم رضاهم عن حركته.

يبدو أنّ حرق سابلاغ قد خلق استياءً كبيراً عند الكثير من الكرد، وأنّ الحكومة الإيرانية تستخدم ذلك كثيراً في حملتها الدعائية ضد سمكو. كما لاحظت أنّ الكثير من الكرد هنا متأثرون بالحركة القومية في تركيا ويؤيدونها. وحينما كان رؤساء العشائر مجتمعين في ديبوكري وصل خبر مفاده أنّه جرت معركة حامية بين قوات سمكو المتكوّنة من 3000 فارس، وقوات أرشد البالغة عددها 4000 إلى 5000 مسلح في المنطقة، الواقعة بين تبريز وسالماس.

واستناداً إلى المعلومات الواردة أنّ قوات سمكو قد تكبّدت 300 قتيل، وتكبّد الجانب الآخر خسائر أكثر، وفي نهاية المعركة اضطر أرشد إلى الانسحاب نحو تبريز، وأنّ الشكاك سيطروا على الكثير من الأسلحة والعتاد وعدد من الأسرى.

يبدو أنّ هذه الأخبار وصلت الشيخ عبدالله بعد مغادرتي لسابلاغ، وأنّه جاء بها شخص اسمه كريم آغا، وحينما قصدت مدينة السليمانية وصلت أخبار تفيد أنّ البانيون يتهيؤون للسيطرة على مدينة سقز، وأنّهم ينتظرون وصول إمدادات من سمكو.

إنني، بوسعي أن أنقل مباشرة، أو من خلال السلطات في بغداد، مطالب ووعود سمكو وسيد طه إلى الدول المعنية، ولكنني متردد فيها، لأنّهم أناس أثبتوا عدم صدقهم. يرجى نقل تحياتي إلى فهيم أفندي، مع الأسف ليس كل ما اعرفه يمكن الكتابة فيه.

أمّا فيما يخص المسألة الأرمنية، فناقشنا هذا الموضوع مع سيد طه، ويبدو أنّ لنا آراء مماثلة حول هذا الموضوع.

وأنّه كنتيجة للمؤامرات المحبوكة والتصرفات المشينة، من أنصار حزب الاتحاد والترقّي، فإنّ سمكو لا يستطيع أن يثق بالآثوريين والأرمن، وأنّ هذا الموضوع أثار قلقي، لأنّه في 27 شعبان انفجرت قنبلة بعد أن جرى تركيبها من قبل أحد الأرمن من منطقة رفند، وأنّ محمّد علي شاه زادة نيابة عن الوالي قام بنقلها إلى أحمد حسين ميرزا، وقام الأخير بإرسالها إلى مكرم الملك. ويقوم الأخير بإرسالها إلى شقات سلطان حاكم خوي، ومن هنالك أرسل إلى سمكو. وضع القنبلة في علبة جميلة للحلويات، ووكّلت المهمة لرجل ذي ثقة، ولكن حامل الهدية أدرك خطورة المهمة التي جرى توكيله بها؛ لذلك قام إثر وصوله إلى سلماس بتسليم الرزمة إلى رجل، ليأخذها إلى بيت سمكو، اعتذر بأنّه لا يستطيع الذهاب إلى هناك لعدم قدرته.

قام الرجل الفقير بتسليم الرزمة إلى شخص سمكو، وأنّ الاخير حال استلامه الرزمة شكّ في محتواها، وصرّح قائلاً: أنا خائف من أن يكون فيها قنبلة. وبينما أحد أنصار سمكو يهمّ بفتح الرزمة سمع سمكو أزيزاً فأدرك فوراً محتوى الصندوق فانبطح على الأرض فوراً، انفجرت القنبلة وأدّى ذلك إلى قتل أخو سمكو، وإصابة عدد من أنصاره إصابات خطيرة.

هزّت هذه الحادثة قبيلة الشكاك هزّاً كبيراً، وأخذ سمكو يقوم بإجراء التحقيق مع جميع الأطراف. وفي هذه الأثناء سرّبت الحكومة الإيرانية أخباراً مفادها أن أرمنيي ريفان هم الذين قاموا بصنع القنبلة. لهذا السبب رفض سمكو التعاون معي، للوصول إلى تفاهم مع الأرمن. وفي أثناء الأحداث الأخيرة قتل خطأ رجل يسمى باشيمون وهو إمّا مواطن أميركي أو فرنسي وكذلك جرى نهب أربع نساء أميركيات، ولكن حمزة آغا رئيس عشيرة مامش قام بتوفير الحماية لهؤلاء الأمريكيات.

حدث ذلك في الثامن من شهر صفر 1340 وفي السابع عشر من الشهر نفسه، جرى إرسال السيدات الأمريكيات تحت حراسة رجال حمزة آغا إلى بوغيان، لضمان سلامة وصولهن إلى تبريز. يبدو أن أسماءهن كالآتي: إلاّ أنّه من المؤسف أنّ إحداهنّ هي مس أوغوستا التي سبق أن زارتني بصحبة نجم الدين كركوكلي حين كنت في السجن، في استنبول، والثانية مس بوشيمون، والثالثة مس وأما سكوت هود، والرابعة هي مس آلما سهون. وأنّ هؤلاء السيدات قد وصلن بسلامة إلى تبريز.

ابني يرجى إعلام ذوي العلاقة بأنني صرفت في هذه الرحلة لكردستان الشرقية 200 ليرة ذهبية، وأعلمهم أيضاً بأنني مدين؛ ودعهم يكونوا على علم بأن الشخصيات الذين وصلوا إلى بغداد لا يستطيعون القيام بشيء بدوني.

من الجدير بالذكر، أنّ الكثير من الكرد من كردستان ـ إيران قد وصلتهم نداءات القوميين الترك لمساعدتهم، وأنّ رؤساء العشائر الكردية في تلك المنطقة كادوا يستجيبون لهذه النداءات، ولكنهم غيروا رأيهم بعد أن بيّنت لهم مواقف القوميين المعادية لسمو السلطان. فبدلاً من أن ينضموا إلى القوميين الترك بدأوا يكرهونهم، إنّ القوميين الترك مستاءون من رحلتي هذه كثيراً، ودفعوا فدية مقدارها ألف ليرة كهدية، لمن يلقي القبض عليّ أو يقتلني.

وجرت محاسبة بعض الضباط في مقاطعات وان وديار بكر، وذلك لأدائهم ببعض التصريحات المؤيدة لي، في تلك المنطقة، ولكن القوميين لم يستطيعوا حتى الآن إلقاء القبض على أعضائنا النشطين في تلك المنطقة. بعد أن سمعت بوصول جماعة من الاتحاد والترقّي إلى راوندوز، قمت برحلة متخفية إلى المنطقة، وجرى التباحث لاتخاذ بعض الإجراءات المناسبة مع بعض الضباط، وأبناء بلدنا هناك. إنّ سقوط أنقرة بات وشيكاً وإنّ هروب القوميين إلى أوروبا أصبح قاب قوسين أو أدنى.

إنني عانيت كثيراً في رحلتي هذه، لأنّ معظم الناس من الجهلة لم يستطيعوا استيعاب الأمور، الأمر الذي كان يجبرني على تكرار ما كنت أريد نقله إليهم، وكانت هناك صعوبة في إقناعهم، لأنّ معظمهم كانوا مصرين على ما كانوا يعتقدونه، ولكن ليس لنا خيار إلاّ أن نكون حكام كردستان.

ملاحظة: ابني العزيز إنّ هؤلاء الكرد غير المنظمين، لا يستطيعون تحقيق التطور وبتعبير آخر إنّ سمكو جاهل وأنّه على علاقة وطيدة بالقوميين الترك، بسبب الأسلحة والأعتدة التي يتلقّاها منهم، باختصار إنّ مسألة سمكو أمر ميؤوس منه.

obeikandl.com